

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثالثة - العدد الحادي عشر - خريف ١٣٩٢ش / أيلول ٢٠١٣م

صص ١٨٣ - ١٧١

العلاقة بين الموتى فى "مقبرة رستم" فى "بهمن نامه" ومذهب ميترى

ايرج مهركى*

ليلا خزل**

الملخص

يعتبر فكر الولادة والموت من الأفكار التى رافقت البشرية منذ العهود الأولى، حيث تطرقت إليه الأديان والشعائر ومختلف المذاهب الفلسفية وحاولت تقديم تفسير واضح له أو الإجابة على التساؤلات المطروحة حوله. لقد أدت أشعة الشمس الحياتية إلى ظهور مذهب عبادة الشمس، حتى أنها أدت إلى دفن الموتى بطريقة لا يفقدون معها ارتباطهم بالشمس. ومن أكثر الأجزاء إثارة فى قصيدة بهمن نامه، وصف إيرانشاه لمقبرة رستم وجثامين الرستميين؛ حيث دفنت جثامينهم بطريقة استثنائية. ونظراً لطريقة دفن أفراد العائلة الرستمية فى هذه المقبرة، فضلاً عن بعض الأسباب الأخرى، يحتمل أن أفراد تلك العائلة قد اعتنقوا مذهب ميترى. سوف نتطرق فى هذه المقالة إلى دراسة العلاقة بين دفن الموتى فى مقبرة رستم ومذهب ميترى.

الكلمات الدليلية: الموت، دفن الموتى، مقبرة رستم، بهمن نامه.

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران.

** خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة برجكانى

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١٠/١١

Leila.khezel@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٢/٥/٤

المقدمة

الموت نهاية لا مفرّ منها للحياة في العالم الفانى، لكن رغبة الإنسان في طول العمر والخلود أدّت إلى عدم اعتبار الموت في هذه الدنيا نهاية للحياة من قبل أغلب سكّان العالم؛ فكلّ قوم ينظرون إلى المرحلة التى تلى الموت بناءً على معتقداتهم. إنّ موت الإنسان في هذه الدنيا حادثة تماثل الوقائع التى تتوقّف فيها عجلة الحياة عن الدوران فهى مرحلة عابرة تشبه الولادة والبلوغ والشباب والكهولة والشيخوخة، لكن اجتياز كل مرحلة من المراحل الآتفة الذكر في هذا العالم أمر ملموس، أمّا بالنسبة إلى المرحلة التى تلى الموت فلا توجد في متناول يد الإنسان أية تجربة حسّية تتعلّق بها. وقد أدّت هذه الظاهرة المجهولة والمخيفة فضلاً عن غريزة الخلود لدى البشر إلى الاهتمام بجثمان المتوفّى ومكان دفنه حيث يحظى بقيمة معنوية خاصة بالنسبة إليهم. «قام البشر في العالم القديم بتحويل القبر إلى مكان مقدّس ثم انتقلت العبادة والتوقير من القبر إلى المعبد؛ لأنهم كانوا يذهبون إليه لتكريم المعروفين والكبار من الموتى والأشخاص الذين اختارهم الله والأشخاص المباركين والمقدّسين والأبطال وزعماء القبائل.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١٠١)

تشير منظومة بهمننامه الشعرية إلى وجود مقبرة العائلة الرستمية في مكان عظيم كان يحظى باهتمام تلك العائلة. والدخمة^١ (دخمه بالفارسية) «عبارة عن مكان استخدم منذ عصر الأفيستا حتى العصر الحاضر تحت مفهوم البرج المرتفع الذى توضع عليه جثامين الموتى بالقرب من الطيور، بينما يندرج المعنى الرئيسى لها تحت مفهوم "كومة الحطب" التى تحرق عليها تلك الجثامين.» (بنونيست، ٢٠٠٧م: ١٩) ولعلّ هناك تقارباً في المعنى بين مصطلح الدخمة "دخمه بالفارسية" بمعناه الأصلي ومصطلح "داغمه" والذى يعنى الحرق).

أما في الماضى البعيد، فقد كان للدخمة تعريف خاصّ بكلّ قوم من الأقوام. ويبدو ١. عبارة عن أبراج ذات شكل دائرى على قمّة تلة أو جبل منخفض في منطقة صحراوية نائية بعيداً عن التجمّعات السكانية عادة تستخدم لدى أبناء الديانة الزرادشتية عند الوفاة حيث يوضع جسد المتوفّى في أعلى البرج حتى تأتى الطيور الجارحة وتأكله. وقد استخدم هذا المصطلح كذلك بمعنى المقبرة في هذه المقالة.

أنّ الزرادشتيين كانوا يطلقون مصطلح الدخمة على أبراج الصمت (برج خاموشان بالفارسيّة)، فكانوا يحفرون حفرة في وسط البرج وبعد أن تأكل الطيور والحوانات الأخرى جث الموتى ولا تتبقى سوى العظام يرمونها في تلك الحفرة. ويظهر أن عظام جثامين العظماء والمشهورين لم تكن ترمى في مكان واحد مع عظام الناس العاديين، بل كانوا يضعونها في أماكن خاصّة. ويقول بنونيست بأنّ الزرادشتيين أحياناً كانوا يتركون عظام الموتى "العوامّ والخواصّ" في تلك الأبراج دون حفر الحفرة ورميها فيها.

تقع تلك الأبراج عادة بعيداً عن المدينة في مكان مفتوح بدون سقف «كأبراج الصمت في مدينة يزد» لكنّها ذات جذور تاريخيّة أقدم من عهد الزرادشتيين؛ فقد كان بناء تلك الأبراج لدفن الموتى رائجاً بين عبدة الشمس "الميثرائيين". كان الميثرائيون يعتقدون بأنّ وضع جثمان الميت في مكان مرتفع قريب من الشمس يؤدي إلى عودة روحه وحلوها في جسد آخر وعودتها إلى الحياة الدنيا؛ لأنّ الشمس التي تعتبر أب الطبيعة تتزوّج بالأرض وتعود الروح بذلك إلى الكائنات. يقول دلاشو في كتاب اللغة الرمزية للأسطورة: «لقد منحت هذه العقيدة للميثرائيين فكرة بناء أبراج عالية داخل معايدهم.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١٠٦) ومن الممكن ألا تكون أبراج الصمت الزرادشتيّة التي كانت مكاناً للموتى، قد بنيت مباشرة بعد ظهور الزرادشتيّة ثم راج بناؤها في دخمات الموتى عند الزرادشتيين. وقد بين الفرنسي موليه خبير الدراسات الفارسيّة أنّ «الزرادشتيين كانوا يضعون جثامين موتاهم في أماكن مناسبة في أعلى المناطق وأبعدها وبعد أن لا يبقى شيء سوى العظام التي تحفّ بفعل أشعة الشمس، كانوا يجمعونها في مكان يسمّى "استودان" في الجبال وبعداً عن المياه والحوانات. إنّ وضع الجثامين في الدخمات أو أبراج الصمت يعود إلى عهود أحدث.» (موليه، ١٩٩٨م: ٧٢) ويمكن مشاهدة هذا الأمر في الجبال المحيطة بتخت جمشيد وفي نقش رستم على بعد ٦ كم من تخت جمشيد.

وتعتبر دخمة رستم (أو مقبرة رستم) في منظومة بهمن نامه الشعريّة مكاناً مقدّساً للرسّميّين كانوا يدفنون موتاهم فيها. ويعتبر وصف إيرانشاه لهذه المقبرة وصفاً رائعاً

١. عبارة عن حفر رباعيّة الأضلاع تحفر بشكل منتظم في الجبال وتستخدم لوضع عظام الموتى.

وغامضاً. مكان مرتفع بين الجبال والصخور، ملئ بالمجوهرات والأشياء الثمينة وقبة تحتضن أروقة أربعة مقابل بعضها البعض تتدلّى منها الستائر الملكّية وهي مصنوعة من الذهب والنفضة والفولاذ ومنسوجة بعقد جميلة ومزينة بأربطة أنيقة. داخل القبة حجرة مظلمة. وت شاهد هذه الستائر الجميلة الثمينة فى أبنية الميثرائيين. «ويحتوى أحد تلك المباني على صورة لميثرا وهى مشغولة بذبح بقرة ولذلك يغطون داخل المحراب بطبقة من الصوان وفى بعض الأحيان يضعون ستارة على جدار المحراب ذات نقوش فنيّة.» (فرمارزن، ١٩٩٣م: ٥٠) «ومن المحتمل أن تكون الظلمة التى تحيط بمكان الموتى من عائلة رستم إشارة إلى أنهم كانوا من الميثرائيين. ويرى دلاشو بأن الميثرائيين يعتبرون مقبرة موتاهم كملجأ يشبه الدخمة أو الخندق أو المدفن أى الغار أو الحفرة داخل الصخرة والجبل كمسقط رأس ميثرا.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١٠٤)

ويبدو أنّ هذا العمل كان عبارة عن إعداد للميت لدخول الحياة الأخرى فقد كانوا يعتبرون ذلك المكان مثل رحم الأمّ. وتعتبر تلك الأضرحة دخّات مظلمة محفورة فى قلب الجبل ولعلّ طريقة دفن الموتى فى مقبرة رستم تشير إلى أسلوب خاصّ كان متداولاً قبل المذهب الزرادشتى. «هنالك عدد كبير من القصص التى نعتبرها روايات تاريخيّة وهى ليست سوى المظاهر الأخيرة للنقوش الزائلة.» (دلاشو، ٢٠٠٧م: ١١٨) إنّ دفن الموتى فى هذا النوع من الدخّات المظلمة بشكل تشرق عليها أشعة الشمس فى مكان مرتفع، من الشعائر الميثرائية.

فى منظومة بهمن نامة الشعرية، توجد أربعة جثامين تعود إلى عائلة رستم على ألواح مزينة فى الدخمة. ولا تزال جثامين الرستميين قابلة للتشخيص والوصف فى مقبرة رستم بعد مضى قرون طويلة عليها. (جثامين كرشاسب، نريمان، سام، رستم)
 بخوابيده برتخت جنكى چهار يكايك بسان درخت جناز
 شده دور از آن سرکشان فرهى چوسروى كه گردد چمن زوتهى
 (بهمن نامه، ٧٢٣٣ إلى ٧٢٣٤، ٤٢٦)

- أربعة جثامين ضخمة كأشجار الدلب مستلقية على لوح من الحجر؛
- وقد غادرتها عظمة الملوك كما تركت عظمة أشجار السرو مروج العشب.

يصف إيرانشاه جثمان كرشاسب بأنه جسد قوى أصبح نحيفاً كالنأى وله رأس دائريّ ولحية بيضاء ذات فرعين وخصر نحيل وصدر رحب:
يكي كالبد بود با شاخ و يال ز تيري تنش گشته مانند نال
سرى گردوريشى سبيدودوشاخ كمرگاه باريك و سینه فراخ
(بهمن نامه، ٧٢٣٧ إلى ٧٢٣٨، ٤٢٦)

- جسد قوى وضخم حولته نواب الدهر إلى نأى نحيف.
- وهو ذو رأس دائريّ ولحية بيضاء ذات فرعين وخصر نحيل وصدر رحب.
أما جثمان نريمان فهو جسد رجل أنهكته الأيام وجعلت شعره يشيب حيث زال
الأمل من العالم دفعة واحدة:

ميانش يكي كالبد بود مرد گل روزگارش دژم گشته زرد
جهان کرده موى سياهش سپيد بریده ز گيتى سراسر اميد
(بهمن نامه، ٧٢٦٢ إلى ٧٢٧٣، ٤٢٩)

- ومن بين الجثامين، جثمان رجل أنهكته نواب الأيام
- وجعلت شعره يشيب فأزالت بذلك كل أمل من العالم.
ويصف جثمان رستم وسام بشكل جميل حيث يملك سام جسداً ضخماً كالجبل
وصدرأً واسعاً ولحية بيضاء جميلة حيث غادرته الروح ولم يبق إلا الجسد:
يكي كالبد ديد چون كوه ژرف برى بهن وريشى سبيدوشگرف
(بهمن نامه، ٧٢٨٣، ٤٢٨)

- وأحد الجثامين ضخم شامخ كالجبل ذو صدر رحب ولحية بيضاء جميلة.
وجثمان رستم ذو وجه أحمر وشعر جميل وصدر واسع وجسد كالجبل، عقد شاربه
خلف رأسه وكأنه لم يمت بل يعانى من الحمى وذراعه وفخذه كالحصان:
چو پيش چهارم شد آن تاجور يكي كالبد ديد با يال و بر
رخ شوخ او ديد وموى سرش بر و پهلوى كوه بيكر تنش
بيسته همى بر قفا موى لب نه مرده ست گويى كه داردش تب
(بهمن نامه، ٧٣١٢ إلى ٧٣١٤، ٤٣٠)

- أما الجثمان الرابع فهو جثمان ضخم ذو وجه أحمر وشعر جميل وصدر رحب وجسد يشبه الجبال، عقد شاربيه خلف رأسه وكأنه لم يمت بل يعاني من الحمى. ويبدو من هذا الوصف أن دخمة رستم فى منظومة بهمننامه الشعرية لا تطابق أيّاً من أبراج الصمت التي كان الزرادشتيون يستخدمونها وهي تشبه أكثر ما تشبه مقابر الفراعنة فى مصر. ومن المتوقع أن تكون جثامين الرستميين فى مقبرة رستم قد حنطت نظراً لبقائها سالمة ظاهرياً. يوجد فرق ضئيل فى دفن رستم بين الشاهنامه ومنظومة بهمن نامه الشعرية؛ فالموتى فى دخمة رستم يوضعون على لوح دون تابوت لكن الشاهنامه تشير إلى وجود تابوت من خشب الساج والمسامر الذهبية والشمع وذكر فى كلا الكتابين أن الجثامين لم تدفن.

يكي نغز تابوت كردند ساج برو ميخ زرين وبيكر ز عاج
همه درزهايش گرفته بقير بر آلوده بر قير مشك وعبير
(الشاهنامه، ٢٥٥-٢٥٦، ٣٣٦، ٦)

- تابوت من خشب الساج ذو مسامير من الذهب وهيكل من الهاج؛

- كافة مفاصله مطلية بالقطران المعطر بالمسك والعبير.

برابر نهادند زرين دو تخت بر آن خوابنده گو نيکبخت

(الشاهنامه، ٢٧٠، ٣٣٧، ٦)

- وضعوا أمامهم هذين اللوحين من الذهب وعليهما جثمانان كأنهما غاية فى السعادة. إن طريقة تلبس التوابيت بالشمع ووضعها على لوح لتصبح مثل المومياء، تشاهد فى إيران. «جاء فى بحث قدمه رضى فى كتاب آيين مغان (الشعائر المجوسية) حول الأديان الإيرانية: كانوا يعتبرون تحنيط الجثامين ووضعها فى تابوت من الحجر أمراً مناسباً فى بعض المناطق الإيرانية وقد كان الملوك الأخمينيون فى نقش رستم وتخت جمشيد يدفنون فى توابيت من الصخر.» (رضى، ٢٠٠٣م: ٩٧) وكانت الشمس تشرق على تلك المقابر التى تقع فى قلب الجبل وفى هذا إشارة إلى الشعائر الميثرائية. ولعل أضرحة الملوك الأخمينيين بقيت لفترة أطول لهذا السبب، لكن ليس لدينا علم بأضرحة الملوك الساسانيين الذين كانوا على الدين الزرادشتى. يذكر فيدن غرن فى كتاب

الأديان الإيرانية شعائر أربعة لدفن الموتى فى العهود القديمة. وتتمثل إحدى تلك الشعائر بوضع الجثامين فى مكان خاصّ لكى تقوم الحيوانات بأكلها أو تتحلل بشكل بطيء ويضيف: لعل هذه الشعائر من السمات التى تتمتع بها المنطقة الشرقية من إيران وتعود إلى القبائل البدوية. أما الشعيرة الثانية فيذكر فيدن غرن بأنّها حرق الجثامين ووضع رمادها داخل أوعية من الفخار ثمّ دفنها فى التراب، ويرى بأنّ هذه الشعيرة كانت منتشرة فى المناطق الإيرانية الأخرى ولعلّها كانت رائجة فى المناطق التى كان سكّانها على الدين الزرادشتى قبل ظهور هذا الدين. «اكتشفت أوعية تحتوى على عظام فى تحت جمشيد وبعض المناطق الأخرى، ومن الواضح أنّهم كانوا يضعون العظام بعد زوال اللحم والجلد فى تلك الأوعية.» (رضى، ٢٠٠٤م: ١٤٦) ولذلك فإنّ دفن الموتى فى الأوعية كان يجرى بطريقتين (العظام أو الرماد). «ويذكر بختور تاش فى كتاب دورة الشمس مكاناً يقع على بعد ٥٠٠ متر من آثار طاق بستان التاريخية فى الشمال الشرقى يحتوى على بقايا بناء ومقبرتين من الجرار الفخارية. (جرار كبيرة وصغيرة تحتوى كلّ منها على جثمان واحد).» (بختور تاش، ١٩٧٧م: ١١) وجاء فى المصدر ذاته بأنّ أغلب الجرار الفخارية كانت تحتوى على هدايا إلى جانب الهياكل العظمية. ويذكر فيدن غرن طريقتين لدفن الموتى فى العهود الإيرانية القديمة. طريقة «الدفن» التى كانت نادرة ورغم ذلك فإن هروودوت يتحدث عن دفن الموتى عند الماساغاتييين ومقابر السكاين والسرميتيين بهذه الطريقة.. الطريقة الأخرى هى الدفن بعد التحنيط فى توابيت صخرية أو مقابر ثينة.» (فيدن غرن، ١٩٩٨م: ٦٣) «وتحدث سترابون حول هذا الموضوع فى كتاب التاريخ الفارسى القديم حيث قال بأنّ الفرس كانوا يقومون بتحنيط الموتى قبل دفنهم ولم يكن دفن الموتى عند المغين ممكناً قبل أن تلتهم الطيور أجسادهم.» (بيرنيا، ٢٠٠٧م: ١٢٦٢) «وقد كانت قبور الأخمينيين كقبر كوروش على شكل أبنية جملونية وجاء فى كتاب كوروش بأن كوروش أوصى أولاده: يا أولادى، عندما أموت فلا تضعوا جثمانى لا فى الذهب ولا فى الفضة، بل ادفنوني تحت التراب بسرعة.» (شاندور، ١٩٩٧م: ٤٢٣) ويشير ذلك إلى أن الموتى فى العهود القديمة كانوا يدفنون فى دحمت ومقابر من الذهب أو الفضة أو الأحجار

الباهظة الثمن مثل فراغنة مصر. ويرى سترابو بأن أولاد كوروش لم يستمعوا لنصيحته فقاموا بدفنه في ضريح فاخر. ويصف سترابو جمع المعزين في ضريح كوروش على هذا الشكل: رأوا أنفسهم داخل الضريح في ظلمة مطلقة، داخل ضريح ليس له نافذة. «دفنت نساء كوروش في تابوت من الذهب على لوح ووضعت عليه سيوف فارسية صغيرة وأطواق وأقراط من الأحجار الكريمة الباهظة الثمن وسندس وكتان من بابل؛ ... فوق بعضها البعض.» (رضى، ٢٠٠٣م: ٤٤)

وفي كلتا الحالتين نقل أن كوروش لم يكن زرادشتياً؛ لأنه لم يدفن بكيفية الموتى بل بصورة مشابهة للدفن في مقبرة رستم. ونظراً لأن فتحة ضريح كوروش تطل على الشرق وهو مرتفع عن الأرض بواسطة الحجر فمن المحتمل أنه دفن حسب الشعائر الميثرائية مثل رستم. ويشير بنونيست إلى تحنيط الموتى لدى الفرس لكنه لم يتحدث عن دفن الجثامين المحنطة في أماكن مثل الأضرحة الفاخرة.

يقول: «كان الفرس يدفنون موتاهم تحت التراب بعد تحنيطهم بالشمع.» (بنونيست، ٢٠٠٧م: ٣٣) ولعلّ اختلاف وجهات النظر هذا ناجم عن أن «بعض القضايا تعتبر غامضة عند الفرس وهم لا يتحدثون عنها بشكل واضح ويراعون فيها جانب الحذر ومنها النقوش الموجودة في باب الموتى.» (رضى، ٢٠٠٣م: ٢٣) وكما ذكرنا فلم يدفن الموتى في دخمة رستم بالتراب وهم موجودون في دخمة أشبه بالقصر ولم يوضع على جثامينهم سوى ملاءة من القماش. ويبدو أن الجثامين المحنطة في دخمة رستم تشبه ما أبرزه فيدن غرن في وجهة نظرة مع فرق ضئيل وهو أنها لم تدفن في توابيت حجرية أو أضرحة فاخرة، بل حنطت ووضعت ضمن ضريح في صخرة مرتفعة ومعها المجوهرات الكثيرة. إن أسلوب دفن الموتى الذي يتحدث فيدن غرن حوله هو أن الموتى كانوا يدفنون بالتراب بعد تحنيطهم في تلك الأضرحة الفاخرة.

ويعود تحنيط الجثامين إلى الاعتقاد الذي كان سائداً آنذاك بالحياة بعد الموت فقد كان الناس يعتقدون بأن الروح بعد الموت تحلّ في جسد آخر أو كائن آخر كالحبوان أو النبات وتستمرّ في الحياة. يقول إلباده: يقول من يعتقدون بهذا الأمر بأن الروح بعد تطهرها «تضم إلى الخلود والأبدية وهذا الأمر عبارة عن سموّ للمقتضيات البشرية

وتكرار للحالة غير المشروطة وغير المقيدة وهو متقدم عن السقوط في الزمان والتقييد في عجلة الوجود.» (الياده، ٢٠٠٧م: ٩٣) ويظهر هذا الأمر في تحنيط الموتى عند الفراعنة المصريين حيث «يوضع جثمان الميت في قبر عادي يكون عبارة عن حفرة بيضوية الشكل قليلة العمق في رمال الصحراء. يوضع الجثمان بشكل محذب بحيث يكون الرأس باتجاه الجنوب والوجه باتجاه الغرب والشمس ... كان الفراعنة يؤمنون بالحياة بعد الموت.» (باتنام، ٢٠١٠م: ١١) كان الفراعنة يؤمنون بأن الإنسان ينبغي أن يدفن في الطبيعة كما كان في رحم أمه لكي يستعيد الحياة. ونلاحظ نظرية التقمص عند البوذيين (انضمام الروح إلى النيرافانا بعد دورات عديدة) وعند الهندوس والميثرائيين. وكان الفرس في القديم يؤمنون بالتقمص كذلك. ويشير فره وشى في كتاب "إيرانوفيتش" إلى وجود شعبين مختلفين في هضاب قرية سيلك في كاشان (في القرنين ٩-١٠ قبل الميلاد) ويضيف: «وجدت في تلك المنطقة حضارتان مختلفتان كان لكل منهما عادات وتقاليد وثقافة مختلفة. هنالك في قرية سيلك بالقرب من قرية يعود ماضيها إلى ما قبل السكان المحليين، آثار حصن قوى ذى قصر ومنطقة سكنية ومقبرة. لم يكن الموتى من القوم الذين انضموا حديثاً إلى المحليين يدفنون في أقبية سكنية بل في المقبرة، كما كانت تدفن معهم مستلزمات حياتهم مثل الجرار الفخارية والخوذ والزينة ومستلزمات الحصان.» (فرهوشى، ١٩٩٥م: ٣٠ و ٣١)

ويمكن الآن مشاهدة آثار دفن الموتى المحليين (قبل دخول الآريين) في قعر حجرات سكنية كانوا يعيشون فيها وذلك في هضاب قرية سيلك. ويضيف فره وشى أن القوم الذين كانوا ينضمون حديثاً إلى المحليين، كانوا يدفنون موتاهم في المقبرة بحيث كانوا يقيّدون أيديهم بأرجلهم على الصدر ويدفنون معهم مستلزمات حياتهم لكي يكونوا على استعداد للحياة التالية.

ويقول فرهوشى في كتاب إيرانوفيتش بأن الأقوام المجدد «كانوا يعتبرون القبر منزلاً للآخرة فكانوا يضعون عليه الأحجار والألواح الطينية على شكل مقوس وجملوني حيث كان هذا الأمر يمثّل استمراراً لتقاليد بناء المنازل في المناطق الممطرة حيث كانوا يقطنون. إن أسلوب بناء السقوف هذا كان موجوداً في القبور الأولى للعهد

الأخميني كضريح كوروش الكبير.» (فرهوشى، ١٩٩٥م: ٤٢) «ومن المحتمل أن تكون تلك المناطق الممطرة واقعة على الساحل الغربى والجنوبى لبحر الخزر.» هنالك نصّ فى كتاب الأديان الإيرانية لبنونيست يعتمد على نصوص يونانية موثقة حيث يؤكد على هذا الأمر وينسبه إلى الفرس والكاسيين والبلخيين قائلاً: «كان ذلك من شعائر القبائل الفارسية القديمة فى السهول الشمالية التى كانت تحتضن البدو الرحل، وكان هذا الأمر ضرورياً نظراً للوضع المناخى وأسلوب المعيشة وكان ينجز على شكل شعائر دينية.» (بنونيست، ٢٠٠٧م: ١٨ و ١٩) ويستند بنونيست إلى مستند مثير «يطلب أحد العبيد الفرس واسمه يوفراتس من سيده فيلونيموس ألا يجعل النار تمس جسده لأنه فارسى وأجداده من الفرس وذب تلوّث بالنار بجسده أقسى من الموت، ويطلب منه أن يدفنه بالتراب والأيرش على جسده ماء الطهارة لأنه يقّس الماء.» (بنونيست، ٢٠٠٧م: ٢١) يثبت هذا المستند أنّ الفرس كانوا يدفنون موتاهم بالتراب كما يظهر بأنّ النار كانت مقدّسة قبل ظهور الدين الزرادشتى؛ لأنّ الفرس هاجروا من المناطق الباردة إلى نجد إيران كما كانوا يقّسون النار ثم قبل الزرادشتيون تقديس النار فى ديانتهم فيما بعد. وينقل بنونيست عن هرودوت؛ كان المجوس وليس الفرس يضعون جثامين موتاهم لتأكلها الحيوانات والطيور؛ أمّا دفن الموتى فهو من الشعائر الفارسية التى تمّ التخلّى عنها بالتدريج فيما بعد. ولعلّه قد تمّ التخلّى عن دفن الموتى بالتراب مع ظهور الدين الزرادشتى ودفنهم على الطريقة الزرادشتية؛ لأنّ المياه والتراب والنار عناصر مقدّسة عند الزرادشتيين ويعتبرون أنّ تلوّثها بجسد الميت ذنب وقد كان دفن الموتى عندهم على الطريقة الفارسية أمراً صعباً.

ويبين فيسدين غرن فى كتاب الأديان الإيرانية بأنّ الموتى كانوا يحرقون كما كانت الدخمة هى كومة الحطب التى كان الموتى يحرقون عليها وذلك فى العهود الأقدم عندما كان الهندوس والفرس يعيشون مع بعضهم أى قبل دخول الأقوام الفارسية إلى إيران.

النتيجة

كانت تقاليد دفن الموتى فى كلّ عهد فى إيران تجرى ضمن شعائر خاصّة، وتعتبر هذه القضية (دفن الموتى) من القضايا التى حظيت بالاهتمام منذ الماضى البعيد. وإذا

أخذنا بعين الاعتبار المواضيع التي أنف ذكرها حول دفن الموتى في إيران القديمة بالإضافة إلى طريقة الدفن في مقبرة رستم المذكورة في منظومة بهمن نامه الشعرية، فسوف نستنتج بأنه من المحتمل أن يكون الرستميون قد آمنوا بالحياة بعد الموت وهذه العقيدة تعود إلى العهد الفارسي القديم "الميثرائيين".

ولو أخذنا بعين الاعتبار ما ذكر في الشاهنامه حول دفن الموتى في مقبرة رستم وتربية الزال على قمة الجبل (بالقرب من الشمس) بواسطة العنقاء وعدم اعتناق العائلة الرستمية للدين الزرادشتي (ويظهر هذا الأمر في الشاهنامه عندما يقوم كشتاسب بتقييد اسفنديار بالسلاسل ظناً منه بسوء نيته ثم يذهب ضيفاً إلى الزال ورستم في سيستان؛ لأنه كان يريد تعليم الزندية والأوفيسستا إلى الرستميين) وهذا الأمر يبين أن الرستميين لم يكونوا على الدين الزرادشتي بل على دين آخر.

برآمد بسی روزگاران بدوی که خسرو سوی سیستان کردروی

که آنجا کند زنده واستا روا کند موبدان را بدانجا گواه

(الشاهنامه، ٩٨٠-٩٨١، ١٣٣، ٦)

- في تلك الأيام القديمة ذهب خسرو إلى سيستان.

- لكي يجيى الأفيستا ويعلمها هناك إلى الكهنة والرستميين.

ولم يذكر في الأفيستا اسم رستم بل يذكر كرشاسب كثيراً فيها كما ذكر رستم في الشاهنامه لأن الزرادشتيين لم يقبلوا رستم ورستم كان خادماً للشمس والشكر الذي كان الأبطال يقدمونه للشمس بعد كل انتصار وقسمهم بالشمس وميثرا، كلها تشير إلى التقاليد التي كانت تلك الأقوام تمارسها. في منظومة بهمن نامه الشعرية، وعندما كان أبطال إيران يتحدثون مع لولو، يطلب أردشير البطل الإيراني من كل من أولئك الأبطال أن يقسموا على بهمن:

به هرکس یکی سخت سوگند داد به ماه وبه مهر وبدين وبه داد

(بهمن نامه، ١٢٢٠، ٨٨)

به نوروز پاکیزه ومهرگان به خورشید کو تازه دارد جهان

(بهمن نامه، ١٢٢٢، ٨٨)

- طلب من كافة الأبطال أن يقسموا بالقمر والعشق والعدل والنوروز الطاهر والمهرجان والشمس التي تحيي العالم.

كما أن قدم العائلة الرستمیة (قبل ظهور الزرادشتیة بكثیر) وقدام المیثرائیة (عبادة الشمس) يفوق قدم الدين الزرادشتی بكثیر وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن أكثر القوم أنذاك كانوا میثرائیین قبل أن يكونوا زرادشتیین. نستنتج مما تقدّم ذكره حول دفن الموتى فى مقبرة رستم والأسباب الأخرى التى أنف ذكرها بأنه من المحتمل أن تكون العائلة الرستمیة كانت میثرائیة قبل ظهور الزرادشتیة.

المصادر والمراجع

- الياده، میرچا. ۱۳۸۶ش. چشم اندازهای اسطوره. ترجمه جلال ستاری. الطبعة الثانية. طهران: انتشارات توس.
- ایران‌شاه، ابن‌ابى‌الخیر. ۱۳۷۰ش. بهمن‌نامه. مصحح رحیم عقیفی. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات علمى وفرهنگى.
- مختورتاش، نصرت‌الله. ۱۳۵۶ش. گردونه خورشید یاگردونه مهر. الطبعة الثانية. طهران: مؤسسه مطبوعاتی عطایی.
- بنونیست، امیل. ۱۳۸۶ش. دین ایرانی بر پایه متن‌های معتبر یونانی. ترجمه بهمن سرکاراتی. الطبعة الثالثة. طهران: نشر قطره.
- پیرنیا، حسن. ۱۳۸۹ش. تاریخ ایران باستان. الطبعة السابعة. طهران: انتشارات نگاه.
- جمیز، پاتنام. ۱۳۸۹ش. رازهای نهفته در مومیایی‌ها. ترجمه محمد صادق شریعتی. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات سبزان.
- دلاشو، م. لوفلر. ۱۳۸۶ش. زبان رمزى افسانه‌ها. ترجمه جلال ستاری. الطبعة الثانية. طهران: انتشارات توس.
- رضی، هاشم. ۱۳۸۲ش. آیین مغان پژوهشى درباره دین‌های ایران باستان. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات سخن.
- فردوسى، ابوالقاسم. ۱۳۸۷ش. شاهنامه. به كوشش سعید حمیدیان. الطبعة التاسعة. طهران: انتشارات قطره.
- فردوشى، بهرام. ۱۳۷۴ش. ایرانویج. طهران: انتشارات دانشگاه تهران.
- موله، ماژیران. ۱۳۷۷ش. ایران باستان. ترجمه ژاله آموزگار. الطبعة الخامسة. طهران: انتشارات توس.

العلاقة بين الموتى فى «مقبرة رستم» فى «بهمن نامه» ومذهب ميترى / ١٨٣

نشان دور، آلبر. ١٣٧٦ش. كوروش. ترجمه محمد قاضى. الطبعة الخامسة. طهران: انتشارات زرین.
ويدن گرن. گئو. ١٣٧٧ش. دينهاى ايران. ترجمه منوچهر فرهنگ. الطبعة الأولى. طهران:
انتشارات آگاهان ايده.